المدارس النظامية في بغداد ودورها في الفكر العربي الإسلامي

أ. م .د. محمد أحمد فربود حمد العيساوي
جامعة تكريت/كلية التربية

المقدمة

لا يسع الباحث وهو يقوم بتقديم هذا البحث إلا ويشعر بالفخر والاعتزاز وان هذه المشاعر تنتاب كل إنسان عربي يقرأ تاريخه المجيد فهو يطلع على ما فعله الأجداد من بناء حضاري شامخ في كل المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية والعلمية ما شرقت شمس العرب ليس على أوربا وحدها وإنما على العالم أجمع .

هذا البحث محاولة لاستقراء النظام التربوي من خلال المدرسة النظامية التي أسسها نظام الملك أبان العهد السلجوقي والتي استطاعت أن تستقطب الطلبة والعلماء وان تكون محط أنظار العالم من كل حدب وصوب ، ولقد تناول الباحث بحثه مبتدءاً بالإسلام دين العلم وأهمية العلم والعلماء والمؤسسات التعليمية في الحضارة الإسلامية ، وتناولت صورة للتعليم في المساجد والمجالس العلمية وكذلك المدارس وقد استمر الباحث في المدارس قبل النظامية وكانت وقفة بحثنا هذا الأخيرة هي المدرسة النظامية (نشأتها وأهميتها) موضحاً أسلوب التدريس واشهر المدرسين ومكتبة المدرسة النظامية .

فبذلت الجهد لإستخدام المصادر القديمة ممتزجة مع المراجع الحديثة لتوضيح الصورة بشكل مبسط وابتعدت عن استخدام العبارات غير المستعملة في عصرنا الحاضر وارجوا أن أوفق في عرض هذه المادة التربوية التاريخية مستخدماً المنهج الوصفي التاريخي ولم استخدم المنهج التحليلي وذلك نابعاً من محاولة عرض المادة لإظهار وابرازالحضارة العربية الإسلامية لما غشاها من غبار ومن الله التوفيق .

١. الإسلام دين العلم

الإسلام دين العلم ، فأول آية قرآنية وأول كلمة تلقاها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) هي (أقرأ) دليل على أهمية القراءة والعلم ثم تستمر الآية مؤكدة على التعلم ((إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، أقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم

الإنسان ما لم يعلم)) [١] وتتابع الآيات القرآنية الحكيمة التي ترفع من شأن العلم وتعظم العلماء ، وتدعوا الناس إلى الأخذ بأسباب العلم والآيات كثيرة تحت ذلك منها قوله تعالى :-

١- ((ن والقلم وما يسطرون)) [٢]

٢- ((والطور وكتاب مسطور في رق منشور)) [٣]

٣- ((شهد الله أن لا إله إلا هو ، والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)) [٤]

٤- ((وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)) [٥]

٥- ((إنما يخشى الله من عباده العلماء)) [٦]

٦- ((وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)) [٧]

٧- ((وقل ربي زدني علماً)) [٨]

نجد هذه الآيات تدعوا الإنسان والإنسان المسلم خاصة إلى التدبر والتفكير في ملكوت الله ومخلوقاته وهي جميعها دعوة إلى إتخاذ العلم وسيلة وطريقة إلى المعرفة والفهم والإدراك والوعي بحقائق الأشياء . أما الأحاديث النبوية الشريفة فهي كثيرة ، فقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

١- ((طلب العلم فريضة على كل مسلم))(٩) .

٢- ((من خرج في طلب العلم ، فهو في سبيل الله حتى يرجع))(١٠) .

٣- ((الحكمة ضالة المؤمن يأخذها عمن سمعها ولا يبالي من أي وعاء خرجت))(١١) .

٤- ((لإن تغدوا فتتعلم باباً من العلم خيراً من أن تصلي مائة ركعة)) .

٥- ((باب من العلم يتعلمه الرجل خير من الدنيا وما فيها)) .

٦- ((خيار أمتي علماؤها ، وخيار علماؤها فقهاؤها)) .

٧- ((يشفع يوم القيامة ثلاثة ، الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء)) .

والأقوال المأثورة عن كبار الحكماء والعلماء والأدباء كثيرة في الحث على العلم ومنها :

١– قال الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) :

((العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكي بالإنفاق ، محبة العلم دين يدان به ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، يموت خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر))(١٢).

٢– قال الإمام الشافعي رحمه الله :

((ذق شرف العلم إن كل ما نسب إليه وهو من شيء صغير فرح ، ومن دفع عنه حزن)) .

٣– قال ابن عباس (رضي الله عنهما) :

((خُير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم المال والملك فاختار العلم ، فأعطي المال والملك)) .

٤– قال بعض الحكماء :

((القلب ميت وحياته بالعلم ، والعلم ميت وحياته بالطلب ، والطلب ضعيف ، وقوته بالمدارسة ، ومحتجب بعد المدارسة ، وإظهاره بالمناظرة ، وإذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل ، فإذا أزوج العلم بالعمل ، توالد وتناسل ملكاً أبدياً لا آخر له)) (١٣).

٣. تشجيع العلم والعلماء

لقد ذكرت كتب التراث والتاريخ العربي الإسلامي العديد من القصص والحكايات التي دلت على تشجيع الخلفاء والأمراء العرب والمسلمين للعلماء والأدباء والشعراء وغيرهم مما كان له أثر كبير في إثراء وازدهار الحياة الفكرية للحضارة الإسلامية بما قدمه أولئك من

مؤلفات وابتكارات جديدة في جميع المجالات مثل : الطب والرياضيات والفلك والكيمياء والميكانيكا ، وفي المجالات الأدبية والاجتماعية المختلفة . وكان تشجيع الحكام المسلمين لأهل العلم حافزاً قوياً لهم مما جعل العلماء يتنافسون على الكتابة والتأليف في العديد من فروع العلم التي كانت معروفة وكذلك كان تشجيع حركة الترجمة والنقل من اللغات اليونانية والفارسية والهيلينية وغيرها إلى اللغة العربية دور كبير في وقوف العرب على علوم وثقافات الحضارات السابقة حيث درسوها دراسة جيدة واستوعبوها وكانت ذات فائدة علمية لهم فيما وضعوه بعدها من إسهامات وإضافات وابتكارات جديدة لم يعرفها العالم قبل وقدم الخلفاء والأمراء والحكام الدعم والتشجيع المادي والمعنوي إذ أعطوا الأموال الطائلة التي تفي باحتياجاتهم المعيشية بحيث لا يحتاج العالم إلى المال والعمل من أجل لقمة العيش ، فيوجه جل

نشاطه للإشتغال بالعلم والبحث فيه والتأليف والابتكار والتجديد بما يتماشى وإثراء العلوم وسد حاجة المجتمع الإسلامي ، وسنورد بعض الأمثلة على ذلك : ان الخليفة المأمون(١٩٨-٢١٨ه) احضر الطبيب و المترجم حنين بن إسحاق وسأله نقل كتب الحكماء اليونانيين إلى اللغة العربية وبذل له من الأموال والعطايا شيئاً كثيراً . (١٤) وأمر المأمون عالم اللغة الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمعه من العرب فأمر له حجرة من حجر الدار ووكل بها جواري وخدماً للقيام بما يحتاج إليه حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوق نفسه إلى شيء حتى أنهم كانوا يؤذنونه (يعلمونه) بأوقات الصلاة ، وصير (جعل) له الوراقين والزم الأمناء والمنفقين ، فكان الوراقون يكتبون حتى صنف (ألف) كتاب وأمر المأمون بكتبه في الخزائن وبعد أن فرغ من ذلك خرج إلى الناس وابتدأ يملي كتابه المعاني . (١٥) ولما ألف أبو عبيد القاسم بن سلام كتاب غريب الحديث عرضه على عبد الله بن طاهر (صاحب خراسان) واعجب به إعجاباً كبيراً فقال : ((إن عقلاً بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق لا يحوج طلب المعاش حتى أن جعل له عشرة آلاف درهم كل شهر)) (٢٦) .أما الجانب المعنوي الذي كان يتلقه علماء العرب والمسلمين من الحكام والمجتمع على سواء فهو الدعم المعنوي الذي له أكبر الأثر في حفز وتشجيع العلماء على الخوض والبحث في العديد من العلوم التي كانت موضع اهتمام المشتغلين بالعلوم الدينية والطبية والأدبية وغيرها من العلوم الأخرى بل أن هناك من العلماء كان حافزهم المعنوي أكبر من الحافز المادي ، حيث كانوا يؤمنون بالعلم أكثر من إيمانهم بالمال والملك والسلطان . ومن هذه القصص ما يروى عن الخليفة هارون الرشيد ((أنه أكل مع معاوية الضرير طعاماً . فلما قام يغسل يديه تناول الرشيد الإبريق وصب الماء على يديه والرجل (أبو معاوية) لا يعلم ، فقال الرشيد له : أتدري من يصب الماء على يديك ؟ قال : لا قال : أنا الخليفة ، قال : أنت يا أمير المؤمنين ، قال : نعم إجلالاً للعلم)) (١٧)

أما مجالس العلماء فقد كانت تجمع بين ثناياها الأدباء والشعراء والفلاسفة وغيرهم ومجلس المأمون الذي يعد من أعظم المجالس في تاريخ الحضارة الإسلامية حيث كان مجلساً يجمع رجال العلم والأدب والشعر والأطباء والفلاسفة يأتون من كل مكان فيجدون الرعاية .

٣. المؤسسات التعليمية في الحضارة الإسلامية

أ. المساجد :-

لقد كانت المساجد هي الأساس الأول للتعليم في الحضارة العربية الإسلامية ، فالمساجد لم تكن أماكن للصلاة والتعبد فقط بل كانت أماكن يتعلم فيها المسلمون القراءة والكتابة ، وقراءة القرآن الكريم وعلوم الدين واللغة وغيرها من فروع العلوم الأخرى وبعد ذلك ظهرت الكتاتيب الملحقة بالمساجد هو نظام الحلقات حيث يتم تعليم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وعلوم اللغة وغيرها من العلوم الأخرى وبعد ذلك ظهرت الكتاتيب الملحقة بالمساجد لتعليم الأطفال القراءة والكتابة والقرآن وبعض العلوم العربية والرياضية ، ويمكن أن نقول أن الكُتّاب في ذلك الوقت كان أشبه بالمدرسة الابتدائية إلى حد كبير في الوقت الحاضر . (١٨)

وكان النظام التعليمي المتبع في المساجد هو نظام الحلقات حيث يتم تعليم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وعلوم اللغة وغيرها من العلوم الأخرى وقد أصبحت المساجد بمثابة الجامعات في العصر العباسي حيث كانت الشروح والإملاء والمناقشات والمناظرات ، فحول أعمدة المساجد كان يجلس الأساتذة أو الشيوخ ويلتف حولهم الطلاب وكانت الحلقات مفتوحة لمن يشاء أن يتعلم وفي المساجد كان العلماء والأساتذة الزائرون يلقون المحاضرات على المتعلمين فكانت فرصة عظيمة للطلاب للإستماع إليهم والإفادة من علمهم ، وكان كثير من الأساتذة الزائرون يأتون من مناطق بعيدة مختلفة في العالم الإسلامي أما بقصد التعليم والتعلم وأثناء القيام برحلتهم إلى الحج والتوقف في عدد من المدارس التي يمرون بها ، وكان الشيوخ والأساتذة يمنحون الإجازات والشهادات للطلاب المتميزين حيث يمكن للطالب بعد ذلك أن يشكل حلقة خاصة به في المسجد دون غيره . ومن أمثلة المساجد الكبرى في العالم الإسلامي التي جمعت بين العلوم الدينية والدنيوية هو الجامع الأزهر وجامع الزيتونة في تونس وجامع القيروان في فاس بالمغرب . (١٩)

ب. المجالس العلمية :-

فضلاً عن المسجد والكتاب كانت هناك المجالس العلمية التي تعقد في بيوت العلماء ، حيث كان العلماء يخصصون جزء من بيوتهم يجمعون أهل العلم لمناقشة المسائل العلمية

والقضايا الدقيقة المتنوعة وهناك مجالس أخرى حيث كانوا يخصصون في قصورهم أماكن خاصة لعقد مثل هذه الجلسات التي تعد منتديات للعلماء .

ج. المدارس :-

بما أن المسجد كان يقوم بمهمته العلمية على الوجه الأكمل فلم تظهر المدرسة للوجود إلا عندما بدأت الحلقات العلمية في المساجد تكثر وتتسع وكثرة الحلقات أدت إلى كثرة المناقشات والمناظرات والحوار والجدل الأمر الذي أدى بالمسجد أن يبتعد عن أداء مهمته الأساسية وهي العبادة ، حيث سبب التوسع في النقاش والحوار إزعاجاً للذين يقومون بالعبادة وأداء واجباتهم الدينية ، أدى هذا الأمر إلى البحث عن إيجاد مكان بديل للدراسة والتعليم وما يصاحب ذلك من نقاش وحوار حتى يبقى المسجد في جلال ووقار وهدوء ، وهذا المكان البديل هو الذي عرف فيما بعد باسم المدرسة(٢٠) ، وقد تميزت مباني المدرسة عما يسبقها من مؤسسة تعليمية بعدة خصائص منها :

١- احتوت المدارس على قاعات للمحاضرات أو ((إيوان)) ويعد من ابرز معالمها .
٢- احتوت على مساكن للطلاب الذين يتلقون العلم فيها ومساكن للأساتذة فضلاً عن عدد من المرافق الأخرى كالمطابخ وحجرات الطعام وحمامات الغسيل .
٣- احتوت كثير من المدارس على مسجد للطلاب ، ومكتبة لإستعمال الطلاب والأساتذة فضلاً عن بعض المدارس كانت تحتوي على ملاعب للرياضة البدنية في الهواء الطلق(٢١) .

٤. مدارس قبل المدرسة النظامية :-

يثار سؤال هل كانت المدرسة النظامية أول مدرسة أنشئت في الحضارة العربية الإسلامية والحقيقة أن هناك مدارس كثيرة تم إنشاؤها قبل مدارس نظام الملك بأكثر من مائة وخمسون أو كثر من مائة وخمسة وستون عاماً . وتم إنشاؤها على أيدي علماء من العرب المشهورين في اقليم خراسان وما وراء النهر وكذلك في نيسابور ومن هذه المدارس(٢٢) :-

أ. مدرسة حسان بن محمد الأموي القرشي المعروف بإبن الوليد النيسابوري قبل سنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠ م .

ب. مدرسة ابن حيان التميمي البستي التي أنشأت أيضاً في نيسابور قبل سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م .

ج. مدرسة الصاعدية أنشأت قبل ٤٠٢ هـ .

د. مدرسة سهل الصعلوكي قبل ٤٠٤ هـ .

هـ. مدرسة أبي عثمان الصابوني قبل سنة ٤٠٥ هـ .

و. مدرسة ابن موزن الأنصاري قبل سنة ٤٠٦ هـ .

ز. مدرسة ابن غافرة الأسدي التي أنشئت بوشنج قبل سنة ٤٥٠ هـ .

ر. المدرسة القشيرية وانشئت بنيسابور قبل سنة ٤٦٥ هـ .

س. مدرسة أبي علي العلوي التي أنشئت قبل سنة ٤٨٠ هـ .

ش. مدرسة قثم بن العباس الهاشمي التي أنشئت بسمرقند قبل سنة ٤٩٠ .

إلى غير ذلك من المدارس التي أنشأها العلماء العرب أنفسهم أو التي بناها منهم في خراسان كالمدرسة العميدية بمرو وهي مدرسة السمعاني التميمي قبل سنة ٤٩٤ هـ ومدرسة المتبعي المخزومي من ذرية خالد بن الوليد التي أنشئت بمرو الروذ قبل سنة ٥١٠ هـ والمدرسة التميمية التي أنشئت بمدينة مرو سنة ٥٤٨ هـ . [٢٣] وفي اغلب الأحيان كان الأشراف على هذه المدارس للدولة التي اهتمت بتعليم رعاياها وجعلت من التربية والتعليم واجباً يجب أن تقوم به وترعاه وكانت الدولة تعين المدرسين الأكفاء للتدريس في هذه المداس وجعلها مجاناً لمن أراد أن يتعلم ، بل أن كثيراً من المدارس كان يقدم منحاً لأولاد الفقراء فضلاً عن الطعام والمسكن الجانبي ولذلك كانت المدارس مكتظة بالطلاب في مختلف فروع العلم والمعرفة (٢٤). وبذلك يكون الجواب على السؤال الذي طرح في بداية الفقرة وهو أن هناك مدارس إسلامية أنشئت قبل المدرسة النظامية وأنشئت في خراسان وما وراء النهر في نيسابور ومجموع هذه المدارس هو ثلاثون مدرسة فقهية منها أنشئت في الفترة الواقعة بين أواخر القرن الثالث الهجري حتى منتصف القرن الخامس الهجري أي قبل النظامية بأكثر من ١٦٥ سنة (٢٥) .

٥. المدرسة النظامية في بغداد (نشأتها وأهميتها) :-

حينما تولى نظام الملك الوزارة للسلطان الب أرسلان سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م اهتم بشؤون التعليم والثقافة فأسس المدارس النظامية التي عرفت بأسمه وأول مدرسة بناها هي نظامية بغداد والتي بدأ التدريس فيها سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦م فكان لزاماً على الباحث أن يبحث في بادئ الأمر أن يترجم عن حياة نظام الملك ، وهو أبو علي الحسن بن علي ابن اسحق بن العباس ولد يوم الجمعة ٢١ في ذي القعدة عام ٤٠٨ هـ / ١٠ في أيلول ١٠١٨ م في بلدة صغيرة تدعى نوكان على ما يذكر شيرواني [٢٦] . أو الرازكان كما يذكر ابن الأثير .

وهي من ضواحي طوس ولذلك لقب بالطوسي . وقد عمل كاتباً عند جفري بك داود السلطان الب أرسلان . وأظهر نظام الملك من الأمانة والكفاءة ورفع من شأنه وأهَله لخدمة السلطان ، مما حدى بالسلطان أن يمنحه لقب نظام الملك ويجعلها له, وكان ذلك في سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م(٢٧) . واهتم نظام الملك بشئون التعليم والثقافة فأسس المدارس النظامية التي عرفت باسمه وكما ذكرت آنفاً أن بداية هذه المدرسة كانت سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م ، بعد أن بنى حولها أسواقاً تكون محبسة وأبتنا ضياعاً وخانات وحمامات وقفت عليها [٢٨]. وقد بلغت تكاليف إنشاء نظامية بغداد ما يقارب ستين ألف دينار [٢٩]. وكان ينفق على أساتذتها والستة آلاف طالب فيها خمسة عشر ألف دينار في السنة من أصل ستمائة ألف دينار كان ينفقها على مدارسه العديدة [٣٠] . وربما كان الدافع لإنشاء هذه المدارس رغبة نظام الملك في محاربة التعليم الباطنية التي كانت رائجة في ذلك العصر وهذا يعلل قيام بعض أساتذة نظامية بغداد(٣١) كالإمام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) وأبى بكر الشاشي (ت ٥٠٧ هـ) على تأليف الكتب في الرد على الباطنية وقد ألف الغزالي كتاب المنقذ من الضلال وكتاب فضائح الباطنية وألف أبو بكر كتاب المستظهري في فضائح الباطنية نسبة إلى الخليفة العباسي المستظهر بالله – وربما كان من أسباب تأسيس المدارس النظامية إعداد القضاة والخطباء ففي سنة ٤٧٥ هـ سافر أبو إسحاق الشيرازي أحد أساتذة المدرسة النظامية من بغداد إلى خراسان في رسالة من الخليفة المقتدر إلى السلطان السلجوقي ملكشاه ، وقال بعد عودته ((لم أدخل بلداً ولا قرية إلا وجدت قاضيها أو خطيبها أو فقيهها من تلامذتي)) [٣٢]

وربما السبب الحقيقي ما قاله نظام الملك بعد أن وشي به عند السلطان ملكشاه ابن الب أرسلان فقالوا له ((إن الأموال التي تنفقها نظام الملك في ذلك تقيم جيشا يركز راتبه في سور القسطنطينية))(٣٣) فعاينه ملكشاه في ذلك فأجابه : يا بني أنا شيخ أعجمي لو نودي عليّ فيمن يزيد لم أحفظ خمسة دنانير ... وأنت غلام تركي لو نودي عليك عساك تحفظ ثلاثين ديناراً ... وأنت منشغل بلذاتك ... وأكثر ما يصعد إلى الله تعالى معاصيك دون طاعتك ، وجيوشك الذين تعدهم للنوائب إذا أحتشدوا كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان وقوس لاينتهي مداه ثلاثة مائة ذراع وهم في ذلك مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي والمزمار والطنبور وانما أقمت لك جيشاً يسمى (جيش الليل) إذا نامت جيوشك ليلاً قامت جيوش الليل على أقدامها صفوفاً بين يدي ربهم فأرسلوا دموعهم وأطلقوا ألسنتهم ومدوا إلى الله اكفهم بالدعاء لك ولجيوشك ، فأنت وجيوشك في خفارتهم تعيشون وبدعائهم تبيتون وببركاتهم تمطرون وترزقون)) . [٣٤]

وفي عهد السلطان ملك شاه اشتد عضد الحركة الإسماعيلية الباطنية بزعامة الحسن بن صباح (ت ٥١٨ هـ) الذي استطاع في سنة ٤٨٣ هـ أن يحتل قلعة الموت قرب أصفهان ، ويحاول القضاء على الخلافة العباسية وإلحاقها بالخلافة الفاطمية ، وفدائيو الحسن بن صباح هم الذين اغتالوا نظام الملك سنة ٤٨٥ هـ . (٣٥)

أما عن موقعها فقد كانت المدرسة النظامية تقع على شاطئ دجلة فوق دار الخلافة العباسية بينها وبين المستنصرية ، وقد عمرت على جزء من دار مؤنس وقد عمرت على الجزء من هذا الدار التي كانت على دجلة في الجانب الشرقي من بغداد ولقد أجل بنيانها ، الدور الشاطئية التي كانت بمشرعة الروايا والقرصنة وباب السفير ، ودرب الزعفراني ، عند سوق الجفافين قرب المكان الذي كان يعرف بقهوة الشط بين جامع الوفائية شرقاً ونهر دجلة غرباً وخان الباججي من الشمال ، وكان للمدرسة سوق كبيرة يقال لها سوق المدرسة ، ومشرعة تعرف بمشرعة سوق المدرسة ، وكان يقابلها عبر النهر من جهة بغداد الغربية ، وكانت محلة كبيرة كالمدينة ، ولا يزال في الجانب الشرقي من بغداد محلة بأسم (القرية) وكانت القريتان متقابلتين في الجانبين وقد جعلت النظامية وقفاً على أصحاب الإمام الشافعي أصلاً وفرعاً وشرط نظام الملك في الأملاك الموقوفة عليها إذا كانت على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً أيضاً ، وكما شرط مثل ذلك في المدارس الذي يكون بها والواعظ الذي يعظ بها ومتولي الكتب . (٣٦)

لقد انتشرت المدارس النظامية في كافة أرجاء الدولة الإسلامية من الشرق إلى الغرب وتعددت أنواع المدارس من مدارس تعلم الأطفال القراءة والكتابة إلى مدارس يتلقى فيها الطلاب التعليم العالي وهي بمثابة الكليات في عصرنا الحاضر . ويعد السبكي تسعاً من مدارس النظامية وهي : نظامية بغداد ونظامية نيسابور ، وهراه ، واصبهان ، والبصرة ، ومرد ، وآمل وطبرستان والموصل . (٣٧)

٦. أسلوب التدريس في المدرسة النظامية :-

إن التدريس في المدارس النظامية كان باللغة العربية ، والمصنفات على اختلافها كانت باللغة العربية حتى يبدو أن ذكر بعض الألفاظ في كتب العلماء بغير اللغة العربية يعد أمراً مستهجناً عند العلماء سواء أكانوا من العلماء العرب أم من العلماء غير العرب فقد ذكر عبد الغافر الفارسي ما نقمه العلماء على الإمام الغزالي المدرس بالنظاميتين نظامية بغداد ونظامية نيسابور بالرغم من فصاحة أسلوبه بالعربية لاستعماله بعض الكلمات غير العربية

قال : ((ومما نقم عليه ما ذكر من الألفاظ المشتقة بالفارسية في كتابه (كيمياء السعادة والعلوم) وشرح بعض الصور والمسائل بحيث لا يوافق مراسيم الشرع وظواهر ما عليه قواعد الإسلام ، وكان الأولى به والحق أحق ما يقال ترك ذلك التصنيف والإعراض عن الشرح به)) [٣٨]

٧. اشهر المدرسين في نظامية بغداد ذكرهم ناجي معروف(٣٩):-

١) أبو اسحق الشيرازي ، إبراهيم بن علي المتوفي سنة ٤٧٦ هـ .
٢) أبو نصر ابن الصباغ ، عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد ، المتوفي سنة ٤٧٧ هـ .
٣) أبو سعد المتولي ، عبد الرحمن بن مأمون المتوفي سنة ٤٧٨ هـ .
٤) الشريف أبو القاسم الدبوسي العلوي المتوفي سنة ٤٨٣ هـ .
٥) أبو عبد الله الطبري ، المتوفي سنة ٤٩٥ هـ .
٦) أبو محمد الشيرازي ، عبد الوهاب بن محمد المتوفي سنة ٥٠٠ هـ .
٧) أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي الشيباني ، المتوفي سنة ٥٠٢ هـ .
٨) أبو الحسن الكيا الهراسي ، علي بن محمد الطبري ، المتوفي سنة ٥٠٤ هـ .
٩) أبو حامد الغزالي ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ،المتوفي سنة ٥٠٥ هـ.
١٠) أبو بكر الشاشي المستظهري ، محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر المتوفي سنة ٥٠٧ هـ .

٨. مكتبة المدرسة النظامية

لقد احتوت المدرسة النظامية في بغداد على مكتبة ضمت آلاف الكتب النفيسة التي لا يوجد لها مثيل ، وكان يقوم على خدمتها (أمناء) ومشرفون وغير ذلك واستفادت مكتبة المدرسة النظامية من الوقف الذي كان العلماء يوقفونه عليها حيث أوقف العديد منهم مجموعات من كتبهم على المكتبة / مثل العلامة محب الدين بن النجار صاحب كتاب ((ذيل تاريخ بغداد)) الذي أوقف ما قيمته ألف من كتبه وكان ذلك في النصف الأول من القرن السابع الهجري [٤٠] .

وكانت المناهج الدراسية في المدرسة النظامية مقصورة على المذاهب ، الشافعي في الفقه والأشعري في الكلام ، وجعل من شروط قبول الطالب فيها أن يكون من الشافعية أصلاً وفرعاً وكذلك المدرس ومتولي الكتب [٤١] .

وبهذا يظهر أن قصر الدراسة في هذه المدرسة على العلوم الدينية واللغوية وإهمال العلوم العقلية والطبيعية كالفلسفة والرياضيات والهندسة والطب والكيمياء والفلك ، كان من عوامل تخلف الفكر في هذه الفترة عند مقارنتها بأماكن التعليم التي أنشأها العرب في العصور السابقة كبيت الحكمة مثلاً [٤٢] .

الخاتمة

بعون الله تعالى بعد الجهد المتواصل في بحثنا هذا دور المدرسة النظامية في الفكر العربي الإسلامي ، ولما لهذا الموضوع ذو الأهمية العلميه والفكريه عند العرب والمسلمين وما تحقق لها من آثار مادية ومعنوية بليغة وفي مساحات ليست قليلة في العقل البشري من الإرث الحضاري العربي الإسلامي ، فكان التعليم والتربية والسلوك ضمن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف هي نقطة الانطلاق المثمره لتحقيق التوازن والمساواة والعدالة بين شرائح المجتمع الإسلامي في ميادين الحياة المختلفة ومن الله التوفيق .

الهوامش

١) سورة العلق، آية ١-٥ .
٢) سورة القلم، آية ١ .
٣) سورة الطور، آية ١-٢ .
٤) سورة آل عمران، آية ١٨ .
٥) سورة العنكبوت، آية ٤٣ .
٦) سورة الأنبياء، آية ٧ .
٧) سورة الإسراء، آية ٥٨ .
٨) سورة طه، آية ١١٤ .
٩) البخاري، صحيح، ج٤، ص٢٥٧ .
١٠) الترمذي، السنن، حديث حسن .
١١) البيهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث (٣١٦).
١٢) من وصية الإمام علي (كرم الله وجهه) لكميل بن زياد.
١٣) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٥٨)، ج١، ص١١ .
١٤) ابن أبي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٦٥م)، ص٥٩ .
١٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مج١، ج٢٠، ص١٢.
١٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار التراث العربي، (بيروت، د.ت)، ج٢، ص٤٠٦ .
١٧) عز الدين، السراج، فضب علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، دار الفكر العربي، (القاهرة، د.ت)، ص٣٦.
١٨) مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ط٢، دار الإرشاد، (بيروت، ١٩٦٨م)، ص٢٣١.
١٩) م. ن، ص١١-١٢ .
٢٠) حسن شمساني، مدارس دمشق في العصر الأيوبي، دار الآفاق الجديدة (بيروت، ١٩٨٣م)، ص١١ .
٢١) م. ن، ص٦٠-٦١ .
٢٢) معروف، ناجي، أصالة الحضارة، دار الثقافة (بيروت، ١٩٧٥م)، ص٦٠ .
٢٣) م.ن، ص٦٠-٦١ .
٢٤) م.ن، ص٦٢،٦٠ .
٢٥) معروف، ناجي، مدارس قبل النظامية، مجلة المجمع العلمي الواقي، العدد ٧٢٤-٩٧٣، ص١٠٣، ص١٠٦ .
٢٦) Sherwany, studies in muslim political the thought and administration, tiy des Abad, ١٩٤٥ , p. ١٢٧ .
٢٧) محمد جلال شرقي وعلي عبد المعطي محمد، الفكر السياسي في الإسلام، دار الجامعات المصرية، (الإسكندرية – ١٩٨٧)، ص٣٢٩ .
٢٨) الطرطوشي، سراج الملوك، مطبعة يولان (القاهرة، ١٢٨٩هـ)، ٥٣٩ .
٢٩) م. ن، ص٢١٨ .
٣٠) م. ن، ص٢١٦-٢١٧ .
٣١) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار ما ذهب، مكتبة القدس، القاهرة، ج٢، ص١٣٥ .
٣٢) م. ن .
٣٣) سراج الملوك، ص١٢٨ .
٣٤) م. ن، ص١٢٨ .
٣٥) ابن دحية، النبراس في التاريخ بني العباس، تصحيح عباس العزاوي، أعمالي مطبعة المعارف في بغداد – ١٩٤٦، ص١٤٤ .
٣٦) معروف، ناجي، علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، ص١٩-٢٠ .
٣٧) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناجي، مط (اقاهرة، ١٩٦٤م)، ج٤، ص٣١٣-٣١٤.
٣٨) الفارسي عبد الغافر، منتخب السياق، وهو ذيل تاريخ نيسابور، مخطوطة نشرت ريشارد، فراي بالأوفست ١٩٦٥ مع جزء من تاريخ نيسابور، موجود في المجمع العلمي العراقي تحت ٣٠٠/٢٤٣٦ .
٣٩) علماء التنظيمات، ص١٩-٢١ .
٤٠) ابن كثير الحافظ، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٠، ج١، ص٤٢ .

٤١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق فريش كرنكوي، مطبعة الجامعة العثمانية، حيد أيـــاد ١٣٨٩ .

٤٢) خليل طحطوح، التربية عند العرب، المطبعة التجارية، القدس، ١٩٣٥م، ص٢٢ .

قائمة المصادر والمراجع

١- أبن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة (بيروت) أبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٦٦) .

٢- حسن شيمساني ، مدارس دمشق في العصر الأيوبي ، دار الآفاق الجديدة ، (بيروت ،١٨٩١) .

٣- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، د . ت) .

٤- خليل طوطح ، التربية عند العرب ، المطبعة التجارية (القدس ، ١٩٣٥) .

٥- ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق فرنيس كرنكوي ، مطبعة الجامعة العثمانية ، حيدر أباد / ١٣٨٩ هـ .

٦- ابن دحية النبراس في تاريخ بني العباس ، تصحيح عباس العزاوي المحامي ، مطبعة دار المعارف (بغداد ، ١٩٤٦) .

٧- السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد أكد ، مطبعـــة عيسى الحلبي ، (القاهرة ، ١٣٨٣ هـ) .

٨- طاش كبرى زاده ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٥٨ م) .

٩- الطرطوشي ، سراج الملوك ، مطبعة بولاق (القاهرة ، ١٢٨٩ هـ) .

١٠- عز الدين السراج،فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية،دارالفكرالعربي،(القاهرة ،د.ت) .

١١- ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مكتبة القدس ، (القاهرة ، ١٣٥٣ هـ) .

١٢- عبد الغافر الفارسي ، منتخب السياق وهو ذيل تاريخ نيسابور مخطوط نشرها ، ريـشارد فـراس بالأوفست ، ١٩٦٥ .

١٣- أبو الفداء حافظ ابن كثير ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، (بيروت ،١٩٨٠م).

١٤- محمد جلال شرف وعلي عبد المعطي محمد،الفكر السياسي في الإسلام،دارالجامعات المـصرية،(الإسكندرية ، ١٩٧٨) .

١٥- مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا ،ج٢ ، دار الإرشاد ، (بيروت ، ١٩٦٨).

١٦- ناجي معروف ، أصالة الحضارة العربية ، دار الثقافة ، (بيروت ، ١٩٧٥) .

١٧- نـــاجي معروف،علمـــاء النظاميـــات ومـــدارس المـــشرق الإســـلامي،مطبعة الإرشـــاد بغداد ،

١٨- ناجي معروف ، مدارس قبل النظامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، العدد ٢٢ سنة

١٩- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، د . ت) .

المصادر الأجنبية

١. SHER WANY, Studies in Muslim political thought and administration, Hydes.